

لبنان أول دولة في هذا الشرق

بقلم دبلوماسي متقاعد

"مصيبة لبنان، أن في لبنان اناساً لا يعرفون تاريخ لبنان". أنيس فريحة

كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن رضى البعض عن إعادة تموضع الجيش السوري في البقاع اللبناني وكأنهم بذلك يقدفون بكرة النار إلى ما وراء الجبل بعيداً عن الأنظار والسمع، وكأنه قدر للبقاع وأبناءه أن يحملوا عن اللبنانيين أجمعين كيد الاحتلال، وكأنه أيضاً انصياح لشروط قصير القامة والنظر الأستاذ عبد الحليم خدام حين طالب بإعادة الأفضية الأربعة لسوريا وكان إلحاق هذه الأفضية بولاية الشام بعد مذابح ١٨٦٠ كان إعادة الحق لصاحبه، وهذا زور وبهتان.

نحن نقول لمن له أذنان فليسمع، إن البقاع بأفضيته التاريخية لبناني الجنسية منذ الأمد الغابر ولا يجوز أن يكون مرتعاً لجيش الاحتلال السوري كما الجنوب من قبله من الإسرائيليين. ولا يكفي الانتماء وحده، بل مشيئة أبنائه الذين عبروا في أكثر من مناسبة وإصرارهم على البقاء في كنف الجبل وابتعادهم عن والي الشام. حجتنا في ذلك وثائقاً وحقائق تاريخية، أولها عريضة بلدية زحلة بعنوان "البقاع للبنانيين" التي قدمتها إلى الدول الكبرى في آذار ١٩١٣ قبل الحرب العالمية الأولى وهي تقول: إن الأمير فخر الدين الثاني جفف في أثناء حكمه مستنقعات عميق في إقطاعية البقاع - وبعد سنة ١٧١١ على اثر موقعة عين دارة استعمر للمعيون البقاع لأنه دخل في اقطاعهم وعمرّوا حاضرتة زحلة.

"ومن المتعارف عليه أن الأمير بشير الشهابي الكبير جفف مستنقعات عميق ثانية وبنى المعلقة، كرسي حكومة البقاع اليوم على أنقاض بلدة الكرك. ومن الحقائق التاريخية أن الأمير بشير كان يسمي نفسه على البقاع حكاماً، منهم ابن حيمور أحد سكان جبّ جنين. ويؤيد ذلك أنه في سنة ١٨٢٠ أرسل الأمير بشير ولده خليل إلى البقاع فطرد حسن آغا العبد الذي عاث في البقاع وزحلة، وتولى حكم البقاع. وقد بنى هذا الأمير أيضاً سراي المعلقة التي أقام فيها إبراهيم باشا المصري وكبار قاداته وسمي عندئذ من لدنه وكيلاً لحكم البقاع وزحلة. لا يزال القسم الكبير من أملاك البقاع يسمي إلى الآن (١٩١٣) بالشهابية نسبة إلى الأمير بشير" وفي عهد القائمقاميتين اللتين تولى القائمقامية المسيحية منها الأمير حيدر اسمعيل اللمعي المتوفي سنة ١٨٥٤، كانت تسمى زحلة مدينة البقاع. وكانت حدود هذه القائمقامية عندئذ من شاطئ المتوسط غرباً حتى سطح انتلييان شرقاً، وبلاد حمص وعمار شمالاً، وكانت طريق الشام الفاصل الجنوبي بين القائمقاميتين.

وعندما نشبت فتنة ١٨٦٠ كان البقاع تابعاً بكلّيته للبنان ففرّ أهله إلى زحلة - وكانت جميع علائق البقاع لبنانية محضة - ورأى داود باشا أن الضيق سيحدو باللبنانيين إلى المهجرة إذا لم يوسّع نطاق جبلهم إلى ما وراء البقاع اللبناني. أيضاً سنسعى بتختم عرائض من مرجعيون ووادي التيم ومدينة بيروت وبعض المدن الساحلية بطلب انضمامها إلى الجبل للتمتع بامتيازاته الدولية. وسافر إلى الآستانة وعرض للباب العالي هذا الطلب سنة ١٨٧٨، فحال فؤاد باشا دون هذه الأمنية وكان سبباً في عزل داود باشا وفي سنة ١٨٧١ تمكّن وكيل الولاية نجيب بدرخان من سلخ البقاع وأضيفت إلى ولاية الشام.

أما قبل هذه العريضة وفي ١٥ كانون الثاني ١٩١٣، فقد بعث قنصل فرنسا في دمشق برسالة إلى حكومته يقول فيها أن نخلة مطران باشا زاره وأطلعته على ما يلي: لقد قررنا المطالبة بضمّ بعلبك وسهل البقاع إلى لبنان وهما جغرافياً مرتبطان به. إننا جميعاً، مسلمون ونصارى منفقون على ذلك فالزعيم المتوالي أسعد بك حيدر، الرجل الأكثر نفوذاً في المنطقة وعبد الغني الرفاعي زعيم السنة، وأنا قد قررنا ضم بلدنا إلى لبنان".

ويقول ندره مطران المعروف بتحمسه للوحدة السورية آنذاك في كتابه *la Syria de demain Paris* 1961 صفحة ١٣٣ "سكان البقاع أنفسهم يريدون الانفصال عن الولاية والانضمام إلى لبنان". وفي الحقيقة نفسها كان المؤتمر العربي المنعقد في باريس من ١٨ إلى ٢٣ حزيران ١٩١٣ برئاسة الشهيد عبد الغني العريسي ابن بيروت وصاحب جريدة المفيد قد اتخذ مقررات ومنها طلب استقلال لبنان وسوريا عن السلطات العثمانية. وكان من الحضور عن سوريا سعد الله الجابري والأردن وفلسطين عوني عبد الهادي وعن لبنان نخله المطران وحبیب أبي شهلا وعمر حمد وغيرهم.

وقد نال القسم الأكبر من المشاركين في هذا المؤتمر شرف الشهادة شقاً في ساحة البرج في بيروت على يد السفاح جمال باشا التركي الحاكم العسكري وقائد الجيش الرابع.

لبنان كان دوماً في التاريخ دولة ذات كيان مستقل وسيبقى بقاء الكون.

نيويورك ٢٠٠٠/١٢/٥